مراحل تطور
الشعر العربي الحديث

obeikandl.com

obeikandl.com

مر الشعر العربي المعاصر بثلاثة أطوار :

الطور الأول : طور الضعف :

فقد كان شعراً ركيكاً ضعيفاً في شكله ومضمونه :

من حيث الشكل :

- اهتم الشعراء بالمناسبات وكان هم الشاعر عندما يهنئ بمولود أو يرثي شخصاً أو يقرظ كتاباً أن يذكر في البيت الأخير أو عجزه تاريخ المولود أو المرثي أو تاريخ تأليف الكتاب . ومعلوم أن شعر المناسبات كثيرا ما يكون متكلفا يفتقد القوة والتأثير.
- كان متقلاً بأنواع المحسنات اللفظية المتكلفة التي أفسدت رونقه ، وأضاعت طلاوته .
- الأغراض تقليدية ليس فيها تجديد .

أما من حيث المضمون :

- فقد كانت المعاني محدودة ضعيفة مبتذلة. يقول د شوقي ضيف : (اقرأ دواوين الشعراء الذين عاصروا محمد على وعباساً الأول وسعيداً من مثل إسماعيل الخشاب ، والشيخ حسن العطار ، والشيخ محمد شهاب الدين ، فلن تجد سوى صور لفظية قد تدثرت بثياب غليظة من محسنات البديع ولن تجد شعوراً ولا عاطفة. لقد تبلدت الحياة ، فجمد الشعر والشعراء ولم يعد هناك إلا التقليد .. فقد أصبح الشعر حساباً وأرقاماً وتمارين هندسية عسيرة الحل).
- اهتم الشعراء بأمور ابتدعوها ، وأضاعوا فيها أوقاتا بغير جدوى. ومن هذه الأمور المبتدعة :

- التشطير . ومعناه : أن يضيف الشاعر إلى كل شطر من أبيات قصيدة أعجب بها شطراً من عنده .
- الترقيط . وهو أن تشتمل قصيدته على كلمات : كل كلمة فيها مبدوءة بحرف من حروف الهجاء مثل قول الشيخ على الدرويش توفى ١٨٥٣ م .

علىّ على عينيك عذل عـــواذلي عذاب عليها عند عاشقها عـــذب

عذارك عذري عجب عطفك عدتي عيونك عصبي عاد عائبها عضب

أرأيت كيف عنى الشاعر نفسه وأتعبها في حشو البيتين بكلمات تبدأ بحرف العين ؟ فما الذي استفاده الشعر من ذلك ؟

الطور الثاني : طور الانتقال من التقليد إلى التجديد :

في هذا الطور بدأت آثار عوامل النهضة في الظهور . فقد طبعت كثير من دواوين الشعراء في عصور العربية الزاهرة كما طبعت كتب الأدب التي ألفت في العصر العباسي أمثال كتب الجاحظ وابن المقفع وأمالي أبي على القالي وغيرها كما عاد المبعوثون من أوربا وقد اطلعوا على ألوان وأجناس من الأدب لم تكن معروفة في الأدب العربي .

وكان من أبرز شعراء هذه الفترة : رفاعة الطهطاوي الذي توفى سنة ١٨٧٣م وعائشة التيمورية التي توفيت سنة ١٩٠٢م .

ولأن هذه المرحلة مرحلة انتقال فلم يتخلص الشعراء تماماً من سمات الشعر الركيك المليء بالمحسنات والتخميسات والتشطيرات .. .

وبدأ يظهر على ساحة الأدب نماذج جديدة في موضوعها جيدة في صياغتها كما في شعرالطهطاوي ؛ إذ يبدو التجديد فيما كتبه من الشعر الوطني ، استمع إليه يقول متغنيا بحبه لوطنه :

ولئن حلفت بـأن مصـر لجنـة ... وقطوفهـا للفـائزين دوانـي

والنيل كوثرها الشـهي شـرابه ... لأبر كـل البـر فـي أيمـاني

ويقول مشيدا بالجيش المصري :

يأيهـا الجنـود ... والقـادة الأسـود

أن أمكـم حسـود ... يعـود هـامي المـدمع

فكـم لكـم حـروب ... بنصـركم تنـوب

لـم تثـنكم خطـوب ... ولا اقتحـام معمـع

نلمح في هذين النموذجين التجديد في الموضوع ، والتجديد الموسيقي وكانت الشاعرة عائشة التيمورية أيضا مجددة في شعرها يقول العقاد : (فإذا استثنينا البارودي أولاً والساعاتي ثانياً فشعر السيدة عائشة التيمورية لمعلو إلى أرفع طبقة من الشعر ارتفع إليها شعراء مصر في أواسط القرن التاسع عشر إلى عهد الثورة العرابية) .

استمع إليها ترثي ابنتها توحيده التي ماتت في ريعان شبابها :

أماه قد عـز اللقـاء وفـى غـد ... سترين نعشي كـالعروس يسـير

وسينتهي المسعى إلى اللحد الذي هو منزلي وله الجمـوع تصـير

قولي لرب اللحد رفقـاً بـابنتي جاءت عروساً سـاقها التقـدير

أمـاه لا تنسـي بحـق بنـوتي قبـري لـئلا يحـزن المقبـور

والجديد في هذا النموذج أنها أدارت الحديث على لسان المرثية لا على لسانها خلافا لما كان معهودا في الرثاء .

الطور الثالث : طور التجديد والأصالة :

في هذا الطور تخلص الشعر تماماً من قيود الصنعة ، وأغلال التكلف، وارتقت العبارة الشعرية من الضعف والركاكة إلى القوة والمتانة ، ومن التقليد والرتابة إلى التجديد والجزالة . وأصبح الشعر كما قال العقاد " فقد ظهر جيل جديد من الشعراء حطم قيود التقليد تحطيماً كاملاً " .

وقد رأى الشعراء أن العودة إلى الأصالة ومواطن القوة في عصور الشعر الجاهلي والأموي والعباسي والأندلسي ، لذلك بدا على شعر هذه المرحلة وضوح البيان والمحافظة على نمط الشعر العربي القديم ، فسار الشعراء على نهج المتنبي وأبي العلاء المعري والشريف الرضي ، وابن زيدون والبحتري حتى أن النقاد أطلقوا على شعراء هذه الحقبة أصحاب (الاتجاه البياني المحافظ) والتي من أبرز شعرائها

- الشيخ ناصيف اليازجي توفي سنة ١٨٧١م
- إبراهيم بن علي الأحدب توفي سنة ١٨٩١م في لبنان
- محمود سامي البارودي توفي سنة ١٩٠٤م في مصر .

ويلاحظ أنهم – وغيرهم من شعراء هذه الفترة – اهتموا بدقة التعبير، وجزالة اللفظ، واختيار المعاني الرفيعة والموسيقى العذبة الواضحة.

يقول د. هيكل في شعر هذا الطور: (..كان أسلوباً حيا مشرقا قد اختير للتعبير عن أغراض تشبه أغراض الأقدمين حينا وتختلف عنها في كثير من الأحايين على أن الشاعر من أصحاب هذا الاتجاه كان يتخذ من العالم العربي القديم عالماً مثالياً يخفق له قلبه ..إنه عالم الآباء الأماجد، والتاريخ العريق، والدولة الإسلامية العربية الغالية).

وكان لكتاب "الوسيلة الأدبية" للشيخ (حسين بن أحمد المرصفي) توفى سنة ١٨٨٩م أثر واضح في شعراء هذا الطور بما قدم للشعراء من نماذج شعرية رفيعة، وبما تناول من شعر البارودي بالتحليل والإشادة ثم جاء شعراء الجيل الثاني بعد البارودي متمثلا في: شوقي وحافظ ومحمد عبد المطلب فى مصر، وخليل مطران في الشام ومعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي فى العراق، وقد حذا جميعهم حذو البارودي، فعاد الشعر إلى مساره الطبيعي في طريق القوة والجزالة والتجديد.

موضوعات الشعر في هذا الطور:

هموم الوطن وقضاياه

اهتم الشعراء في هذا الطور بأوطانهم وقضاياها اهتماماً كبيراً فقد شاركوا أمتهم أتراحها وأفراحها، وتناولوا حياة أمتهم السياسية، **وما يعترضها من قضايا مصيرية** :

فهذا شوقي يتناول في شعره قضايا سياسية مرت بها مصر أو غيرها من بلدان العرب ، **يقول مشيرا إلى الاحتلال الإنجليزي وما كان يفعله في البلاد :**

أحـــرام علـــى بلابلـــه الـــدو ح حلال للطير من كـــل جـــنس

كـــل دار أحـــق بالأهـــل إلا في خبيث من المـــذاهب رجـــس

ويقول في نكبة دمشق وما وقع عليها من اعتداء واحتلال :

ســـلام مـــن صـــبا بـــردى أرق ودمـــع لا يكفكـــف يادمشـــق

وللحريـــة الحمـــراء بـــاب بكـــل يـــد مضـــرجة يـــدق

وللأوطـــان فـــي دم كـــل حـــر يـــد ســـلفت ودَيـــن مســـتحق

وكذلك كان الشاعر حافظ إبراهيم في شعره . يندد بالاحتلال الإنجليزي **ويذكر مساوئه:**

أيهـــا القـــائمون بـــالأمر فينـــا هـــل نســـيتم ولاعنـــا والـــودادا

إنمـــا نحـــن والحمـــام ســـواء لـــم تغـــادر أطواقنـــا الأجيـــادا

ويقول للمحتل :

أنـــت جلادنـــا فـــلا تـــنس أنـــا لبســـنا علـــى يـــديك الحـــدادا

ويتحدث خليل مطران داعيا إلى محاربة الجهل ومحو الأمية :

إن يجهل الشعب فالحكم الخليق بـــه حق العزيزين من وال وســلطان

وكان من القضايا التي تناولها الشعراء :

- قضية (الحجاب والسفور) التي أثارها قاسم أمين بكتابيه (تحرير المرأة).

و(المرأة الجديدة) فكانت مثار جدل بين مؤيد ومعارض :

وكان ممن عارض اللسفور أحمد محرم الذي قال :

أغرك يا أسماء ما طـنّ قاســم أقيمي وراء الخدر فالمرء واهــم

تضيقين ذرعاً بالحجاب وما بـــه سوى ما جنت تلك الرؤى والمزاعم

سلام على الإسلام في الشرق كله إذا ما استبيحت في الخدور المحارم

وممن وقف موقفا وسطا حافظ إبراميم يقول :

من لي بتربيـــة النســـاء فإنهـــا في الشرق علة ذلـــك الإخفـــاق

الأم مدرســـــــة إذا أعـــــددتها أعددت شـعباً طيـب الأعـــراق

الأم أســـتاذ الأســـاتذة الأولـــى شغلت مـــآثرهم مـــدى الآفـــاق

أنا لا أقول دعوا النساء ســـوافرا بين الرجال يجلن في الأســـواق

كـــلا ولا أدعـــوكم أن تســـرفوا في الحجب والتضييق والإرهاق

فتوسطوا في الحالتين وأنصـــفوا فالشر في التضـــييق والإطـــلاق

ربوا البنات على الفضيلة إنها في الموقفين لهن خير وثاق

ـ تجربة النفي عن الوطن

وقد عانى منها الشاعر محمود سامي البارودي من تجربة النفي ، والتشريد على يد الاحتلال ، حيث نفي إلى سرنديب ، وقضى فيها ١٧ عاما ، ذاق خلالها آلام البعد عن الأهل والوطن ، **يقول عن معاناته ويعرض بالاحتلال وجرائمه** :

أبيت في غربة لا النفس راضية بها ولا الملتقى من شيعتي كثب

فلا رفيق تسر النفس طلعته ولا صديق يرى مابي فيكتئب

ومن عجائب ما لاقيت من زمني أني منيت بخطب أمره عجب

فهل دفاعي عن ديني وعن وطني ذنب أدان به ظلما وأغترب

وكذلك عانى الشاعر شوقي من النفي إلى الأندلس ، **يقول مبينا حنينه إلى مصر وأهلها** :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

وهفا بالفؤاد في سلسبيل ظمأ للسواد من عين شمس

شهد الله لم يغب عن جفوني شخصه ساعة ولم يخل حسي

استيحاء التراث :

برز واضحا استلهام الشعراء جوانب التراث والاستفادة منه والتغني بما فيه من قيم وإيجابيات ويبدو ذلك جليا في عناوين القصائد وفي محتواها :

فمن التراث الديني :

قصائد شوقي المنونة مثل :

- (الهمزية النبوية)
- (نهج البردة)
- (ذكرى المولد)

وكذلك حديثه الطويل عن مصر وتاريخها القديم في قصيدة (كبار الحوادث في وادي النيل) وما كتبه حافظ إبراهيم في قصيدته العمرية التي يسرد في أبياتها سيرة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والتي منها :

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا ... بين الرعية عطلا وهو راعيها

وعهده بملوك الفرس أن لها ... سورا من الجند والأحراس تحميها

رآه مستغرقاً في نومه فرأى ... فيه الجلالة في أسمى معانيها

وقال قولة حق أصبحت مثلاً ... وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها

أمنت لما أقمت العدل بينهم ... فنمت نوم قرير العين هانيها

قضايا العالم الإسلامي والعربي :

شهد النصف الأول من القرن العشرين تلك الأحداث الهجمة الصليبية على الدولة العثمانية التي قامت على الإسلام . فتألفت الجمعيات السرية المشبوهة التي

أخذت تنخر في جسد الدولة العثمانية تساعدها اليهودية الحاقدة على الإسلام متدثرة بشعارات الحرية والقومية ثم تدخلت الدول الأوربية الصليبية فقضوا على الخلافة ، وولوا وجه تركيا شطر أوربا فحاربوا الإسلام واللغة العربية حرباً لا هوادة فيها فهذا شوقي يعبر عن فرحته لانتصار الأتراك في حربهم ضد أداء الدولة يقول :

الله أكبر كم في الفتح من عجب ... يا خالد الترك جدد خالد العرب

حذوت حرب الصلاحيين في زمن ... فيه القتال بلا شرع ولا أدب

لم يأت سيفك فحشاء ولا هتكت ... قناك من حرمة الرهبان والصلب

ولا أزيدك بالإسلام معرفة ... كل المروءة في الإسلام والحسب

ويحزن شوقي لسقوط الخلافة العثمانية ، ويحزن المسلمون جميعا ، عندما قام مصطفى أتاتورك بإسقاط الخلافة ، فكان وقع ذلك على المسلمين شديداً أليماً يقول :

عادت أغاني العرس رجع نواح ... ونعيت بين معالم الأفراح

كفنت في ليل الزفاف بثوبه ... ودفنت قبل تبلج الإصباح

ضجت عليك منابر ومآذن ... وبكت عليك ممالك ونواح

الهند والهة ومصر حزينة ... تبكي عليك بمدمع سحّاح

والشام تسأل والعراق وفارس ... أمحا من الأرض الخلافة ماح ؟